الناقة والصحراء في شعر الأعشى الكبير
(ميمون بن قيس)

د. عمر عيد السليمان المومني
كليةعجلون الجامعية - جامعة البلقاء التطبيقية
الأردن

الناقة والصحراء في شعر الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)

د. عمر عيد السليمان المومني
كلية عجلون الجامعية – جامعة البلقاء التطبيقية
الأردن

ملخص البحث:

جاءت هذه الدراسة تحت عنوان: **الناقة والصحراء في شعر الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)** الذي امتاز برحلاته الطويلة على ناقته التي عدها عنصراً رئيساً في حياته فنعتها بأفضل النعوت التي تؤهلها لقطع المسافات البعيدة، من قوة، ونشاط، وحيوية، وضخامة بنية... وكذلك شبهها بمشاهد الطبيعة كالجبل، والقصر، وشجرة النخيل...

واعتمدت الدراسة على ديوان الشاعر الذي حققه محمد محمد حسين بكونه مصدراً رئيساً للموضوع. وأوضحت الدراسة الحياة الاجتماعية للشاعر وعلاقته بناقته ،وكذلك ثنائية الناقة والصحراء مبرزاً الصفات الجسمية لناقة الشاعر. كما وقفت الدراسة عند اللوحات الفنية للحيوانات الصحراوية التي ماثلت ناقة الشاعر من حيث القوة والنشاط والحيوية كالحمار الوحشي، والثور الوحشي، والبقرة الوحشية، وكذلك لوحة النعامة والظليم التي كونت لوحة رمزية للحياة الوادعة الهانئة التي يبحث عنها الشاعر.

لقد كونت الناقة معادلاً موضوعياً للشاعر، وكل ما يريده الشاعر حققه من خلال نجاح ناقته، لذلك تناولت قدسية الناقة عند العربي الجاهلي بكونها المُخَلِّصة، والمنجية من الهلاك، واللجوء إليها عند المحن. كما أوضحت علاقة الناقة بالشاعر حيث وصفها بصفات إنسانية، فهي تشكو همها له، وتحاوره ويحاورها فتفهمه ويفهمها، وهذا دليل على القرب النفسي بكونها وسيلة نقله وصديقته في حله وترحاله وبهذا برزت خصوصية الشاعر المتميزة بالناقةِ، حيث فاق أقرانهُ من الشعراء في هذا المجال.

مقدمة الدراسة:

تأتي هذه الدراسة تحت عنوان الناقة والصحراء في شعر الأعشى الكبير(ميمون بن قيس) ضمن الدراسات الأدبية الفنية التي تسلط الضوء على تراثنا العربي القديم، الذي يشكل حلقة رئيسة ضمن حلقات الأدب العربي المتتابعة.

ويعد الأعشى في عداد الشعراء المتحضرين لكثرة ترحاله، وتنقله في بلاد العرب، وبلاد فارس ،ولأن شاعرنا لم يأخذ حظه من البحث والدراسة في هذا الجانب - الناقة والصحراء - رأيت الكتابة في هذا الموضوع لأبين طبيعة الناقة والصحراء في شعر الأعشى الكبير، الذي أكثر التطواف في البلاد على سفينته الصحراوية التي أحبها إلى درجة العشق، فخلع عليها أعظم الصفات من نشاط ، وحيوية لقطع هذا التيه الرملي.

واتخذت الدراسة أسلوب الاستقراء والتحليل لشعر الشاعر،لاستجلاء العلاقة بين الناقة والصحراء، والوقوف عند اللوحات الفنية للحيوانات الصحراوية كالحمار الوحشي، والبقرة الوحشية، والنعامة والظليم، وعلاقتها مع الناقة لما للشاعر من خصوصية في هذا الجانب، وستعتمد الدراسة على ديوان الأعشى الكبير تحقيق الدكتور محمد محمد حسين كمصدر رئيس، آملاً تحقيق إضافة جديدة في أدبنا العربي.

والله الموفق

الناقة والصحراء في شعر الاعشى الكبير(ميمون بن قيس)

أولاً: الحياة الاجتماعية للأعشى، حياته، وشعره.

يعد ميمون بن قيس (الأعشى الكبير) من أشهر الشعراء الجاهليين على الإطلاق، فهو في المرتبة الأولى من الشعراء لجودة شعره، ومستواه الفني الذي بلغه بفضل رقته وتحضُّره. وشاعرنا هو ميمون بن قيس بن جندل بن شرحبيل من عوف... إلى أن يصل نسبة إلى ربيعة بن نزار، وكنيته: أبو بَصِير وكان يقال لأبيه قيس بن جندل قتيل الجوع... وهو واحد من أعلام الشعراء الجاهليين وفحولهم[١]. وقيل هو أول من سأل بشعره، وانتجع به البلاد، وكان يغنى في شعره، فكانت العرب تسميه: (صنّاجة العرب) وسئل مروان بن أبي حفصة: من أشعر الناس؟ قال: ذلك الأعشى في الجاهلية، والأخطل في الإسلام[٢].

يقول الدكتور شوقي ضيف في كتابه العصر الجاهلي: "يمتاز الأعشى بكثرة قصائده الطويلة، كما يمتاز بكثرة تصرفه بفنون الشعر من مديح، وهجاء، وفخر، ووصف وخمر وغزل.... والدارس لشعر الأعشى يحس فيه روح العصر العباسي لا من حيث سهولة اللفظ فحسب، ولا من حيث المقابلة بين المعاني فحسب، بل من حيث ما يجري في ذلك من أثر رقة الذوق بتأثير الحضارة"[٣]. ومن الدارسين من عدّ الأعشى إرهاصاً للشعر المدني المتحضر بفضل الأسلوب الحضري الراقي في الخطاب مع الآخر.

يقول شوقي ضيف: "والحق أن الأعشى في شعره جميعه يُعدُّ تمهيداً للشعر الحضري الذي ظهر من بعده، سواء في غزله وخمره، أو في هجائه ومديحه، فهو في هذه الموضوعات جميعاً يفصح عن ذوق متحضر، سواء في خطاب الأمراء والأشراف والخضوع لهم، أو في خطاب النساء والتذلل لهن، أو في اللعب بمهجويه، والاستهزاء بهم والاستخفاف، أو في وصف الخمر ومجالسها ودنانها وكئوسها"[٤].

---

(١) الأصبهاني ، ابو الفرج : الأغاني ،المجلد السابع،القسم الأول،منشورات دار الفكر-دارمكتبة الحياة،بيروت،١٩٥٥،ص١٤٨.

(٢) المصدر السابق / المجلد الثامن القسم الأول.ص١٤٩-١٥٠،للمزيد انظر الصفحات من١٥١-١٦٦.

(٣). ضيف، شوقي:العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر،ط٢٤، ٢٠٠٣، ص٣٤٩.

(٤) المرجع السابق، ص ٣٦٢.

ومن المؤكد أن الأعشى الكبير كان مفتوناً بالخمرة ومجالسها، فكانت شرابه وأنيسه، حتى إنه ليروى أن عُدُولَه عن الإسلام، عندما قدم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلن إسلامه ويدخل في الدين الجديد. وقد علم أن الدين الجديد يحرم الزنا، والقمار والربا، فإنه لم يهتم لذلك كثيراً، لكنه جزع كل الجزع عندما علم أن الدين الجديد يحرم الخمرة، فعاد من مكة إلى اليمامة ليستنفذ ما بقي له منها قبل أن يحرمه دخوله في الدين الجديد (جاء في الأغاني أنّ علي بن سليمان النوفلي قال: حدثنا أبي قال: أتيت اليمامة والياً عليها فمررت بمنفوحة وهي منزل الأعشى التي يقول فيها "بشط منفوحة فالحاجر" فقلت: أهذه قرية الأعشى؟ قالوا: نعم، فقلت: أين منزله؟ قالوا: ذاك وأشاروا إليه، قلت أين قبره؟ قالوا: بفناء بيته، فعدلت إليه بالجيش فانتهيت إلى قبره فإذا هو رطب، فقلت: ما لي أراه رطباً؟ فقالوا: إنّ الفتيان ينادمونه فيجعلون قبره مجلس رجلٍ منهم، فإذا صار إليه القدح صبوه عليه"[1] لقد طاف الأعشى في البلاد طولاً وعرضاً قاصداً الملوك والأشراف، لينال عطاءهم، وهو يعترف بحرصه على جمع المال، ولا يجد في ذلك غضاضة

فيقول:

وَقَـــدْ طُفْـــتُ لِلْمَـــالِ آفاقَـــهُ عُمَـــانَ فَحِمْـــصَ فَأُورِيَـــشَلِمْ

أَتَيْـــتُ النَّجاشِـــيَّ فـــي أَرْضِـــهِ وأَرْضَ النَّبِـــيطِ وأَرْضَ العَجَـــمْ

فَنَجْـــرَانَ فَالـــسَّرْوَ مـــن حِمْيَـــر فَـــأَيَّ مَـــرَامٍ لَـــهُ لَـــمْ أَرُمْ[2]

لقد صور الأعشى حياته في حله وترحاله، وشكلت الناقة في حياته عنصراً رئيساً، وعبر عن حبه وعشقه لهذه الناقة لكونها وسيلة من وسائل الحياة اليومية. فكانت

(١) الأصبهاني، أبو الفرج، الأغاني، المجلد الثامن، القسم الأول، دار الفكر / دار مكتبة الحياة / بيروت، ١٩٥٥، ص١٦٤.

(٢)حسين، محمد،ديوان الأعشى الكبير، ق٤، ص٩١. للمزيد أنظر العمدة لأبن رشيق القيرواني، وكذلك طبقات الشعراء لإبن سلاّم.

الناقة صديقة للعربي في ذلك الزمن الصعب، مما جعلها تشكل لحظات الحب والسعادة مع الجاهلي. يقول عبد اللطيف الصديقي: "إن زمن الحب، ما هو إلا تعبير عن لحظات الزمن النفسي، أو الديمومة الشعورية، إنه محاولة لالتقاط إيقاعة من إيقاعات ديمومة الحياة، من خلال تجربة ذاتية أو زمانية نفسية"(١). وهكذا كان الشاعر جوابا في اطراف الجزيرة باحثا عن لحظات السعادة التي ينشدها في زمن التيه والضياع في عرض الصحراء الممتدة.

ثانياً: الناقة والصحراء في الشعر الجاهلي:

الناقة من أبرز الحيوانات الصحراوية القادرة على التأقلم في جو الصحراء القاسي، لِمَ خصها الله من سمات جسمية، تجعلها قادرة على التكيُّف مع الحرّ والبرد الشديدين.

"والناقة هي الأمر الرءوم للبدوي: سفينة صحرائه ومركبُه إلى آماله الضخام في مراعي الجزيرة، أو عند الملوك والعظماء، تصبر على الجدب، والجفاف حتى تحمله إلى الخصب، والمراعي، والأمواه، وتمده في رحلاته الطويلة وسط القفار والبيد بطعامه إن جاع، وشرابه إن عطش، وسكنه إن كان في حاجة إلى إيواء"(٢).

لقد تناول الشعراء الجاهليون الناقة، وأطالوا وفصّلوا الحديث فيها، ولا نكاد نستثني أحداً منهم، فوصفوها في أسفارهم ورحلاتهم، طالت أم قصرت، وبخاصة طرفة بن العبد في معلقتِهِ الذي تفنن في رسم لوحات فنية رائعة لها، وكذلك الأعشى الذي ذكر الناقة وشبهها بحيوان الصحراء كالثور الوحشي، يقول سيد نوفل: إن بعض الشعراء قد اتخذ عن حديثه عن الناقة ذريعة إلى وصف حيوان الصحراء، من حمار، وثور، ونعامة، وظليم، كأن الناقة ليس لها كيان مستقل، وإنما أصبحت بحكم البيئة والملازمة موجوداً من موجودات الصحراء، أو رمزاً لموجودات الصحراء، يثير ذكرها حديث الموجودات الأخرى"(٣).

وعُدّت الناقة عنصراً رئيساً في حياة البدوي، لأنها سفينته في عرض الصحراء، ووسيلة نقله من مكان لآخر، وهي صاحبته في حله وترحاله، وخليلته في البيد، والقفار

(١) الصديقي، عبد اللطيف: الزمان، أبعاده وبنيته، بيروت، المؤسسة الجامعية، ط١، ١٩٩٥م، ص ١٤٤.

(٢)الشلبي، سعيد إسماعيل: الأصول الفنية للشعر الجاهلي، مكتبة غريب–القاهرة، ١٩٧٧، ص ٣٢٩.

(٣) نوفل،سيد: شعر الطبيعة في الأدب العربي،مطبعة مصر–القاهرة ، ١٩٤٥،ص٣٧.

يشرب حليبها، فتمده بعناصر الحياة، فاشتدت الألفة والمحبة بينهما، فرفعها إلى مستواه ،فاتخذ منها صديقة وصاحبة، وكأنها إنسانة تقاسمه المشاعر وتشاطره الهموم، فأضفى عليها من صفات العقلاء ووجدان الأصدقاء، فناجاها وتسمَّع إلى شكواها وعبَّر عنها وكأنه لسانها إذا نطقت، أو وجدانها

إذ أفصحت، لهذا كله فقد قامت بين الشاعر، والناقة علاقة متينة وصداقة دائمة، لا يستطيع الاستغناء عنها؛ لأنها سفينته عبر بحار الرمال الواسعة.

فكلما لجأ الشاعر إلى تشبيهها، صورها إلى حد المغالاة بأحد مكونات الصحراء، من نخل أو جبل، أو حيوان صحراء، كما أنه في كثير من الأحيان يستعين بما تزخر به أفكاره من صور الناقة، ويستمد من شكلها وصفاتها الجسمية، والنفسية ما يعينه على إيجاد المشبه به لكل ما يريد رسمه من مشاهد، ولوحات شعرية فنية بديعة.

والدارس لشعر الأعشى الكبير يجده قد شبه كل عضو من أعضاء ناقته بأحد مكونات الصحراء بنباتها كالنخيل، أو حيوانها كالحمار الوحشي، أو الثور الوحشي، أو النعامة أو الظليم... ومن المعلوم أن التشبيه، والاستعارة هما الركنان الأساسيان لشعر الوصف سواء أكان ذلك عند شاعرنا أم غيره من الشعراء قديماً أو حديثاً.

وكثيراً ما لجأ الجاهليون إلى تشبيه ظعائن المحبوبة بالنخلة السامقة، وهي إشارة إلى الحياة المستقرة والثبات والقدرة على تحمل المتغيرات المحيطة، ومن الجاهليين من عدّ شجرة النخيل رمزاً للأمن، وهي مباركة تمنحهم الحياة السعيدة، فهي توحي بالنماء والخصب، لذلك لجأ الجاهليون إلى تقديسها وفي ذلك يقول محمد عجينة: "إن شجرة النخيل مع الجبال يمثلان بالقياس إلى الإنسان رمزاً للخلود، والاستقرار والثبات، فَلِم لا يقدسها العربي؟"[1]. ويقول الدكتور سعيد الشلبي: "الناقة جديرة بأن يتخذها – الشاعر الجاهلي – محراباً لفنه يتنافس في وصفها مع اقرانه، ويباهي في نعتها، وراحلة تسير الهوينى او تنهب الصحراء تحمل الظعائن أو تقل المتاع، يقف على الطلل حينا، أو ثم ينتقل بها في اكثر الاحايين ليضرب بها في التيه، أو ليبدأ مغامرة يصارع فيها وعثاء

(١) عجينة، محمد: موسوعة أساطير العرب عند الجاهلية ودلالاتها، دار الفارابي، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٩٤، ص١٣٢.

السفر، وهنا يرى سرعتها وخلقتها، وطباعها فيما يصادف من حيوان الصحراء وطيورها، فيتناساها قليلا أو يضمرها في وجدانه ليحدثنا عن سرعة ثور الوحش أو الحمار، أو الأتان أو البقر والنعام.... وليس ذلك من العربي شروداً عن صاحبته (الناقة) وإنما هو لون من الافتتان في الوصف والإبداع في الخيال"[1].

لقد أبدع الشعر الجاهلي في وصف لوحة الناقة الشعرية. ورسمها الشاعر أجمل رسم في حقيقتها، وبالصورة التي تخيلها، ليجعل منها لوحة بديعة في وصف حيوانه المفضل الذي يعتمد عليه كل الاعتماد في قطع المفاوز، ورمال الصحراء الواسعة،كمافتنت الناقة الشاعر الجاهلي فتنة كبيرة، فوقف يتأملها في إقبالها، وإدبارها، ويكرر ذلك مرة تلو المرة، يُحَدِّقُ فيها، ويسرف في ذلك، ثم يصفها عضواً فعضوا، ويصف وِقْفَتها، ومِشيتها، وطباعها، ويتحدث عن مدى حبه لها، وعلاقتها به، وموقفه منها موقف العاشق الوله بمعشوقته. واستطيع القول بأن الشاعر الجاهلي قد نجح نجاحاً كبيراً في رسم صورة دقيقة، واعية، وأمينة لهذا الحيوان الصحراوي الذي اعتمد عليه البدوي في حياته وسط الصحراء التي فُرضت عليه. يقول أنور أبو سويلم: "إن الناقة – كما يصورها الشعراء – هي مانحة الحياة لمن أشرف على الهلاك جوعاً، وهي مانحة الهداية لمن أشرف على الموت ضلالاً"[2]. لقد تناول الشاعر الجاهلي الناقة بالوصف الدقيق، وركز على الصفات الحسية أكثر من الصفات المعنوية وفي ذلك يقول وهب رومية: "إن الشاعر الجاهلي العالق بالأرض، بحكم حياته الرعوية يتشبث بالمحسوس وقلما يفارقه – حيث إن الجانب الحسي من الناقة هو مهوى أفئدة الشعراء، ومحط أبصارهم، وباعث السحر على ألسنتهم – هو كذلك في علاقته بحبيبته، وهو كذلك في علاقته بناقته وفرسه، وقد استرعت أوصاف الناقة الحسية هذه العين أكثر مما استدعتها صفاتها المعنوية"[3]. ومن الملاحظ من خلال قصائد الشاعر المختلفة، أن

(١)الشلبي، سعيد إسماعيل: الأصول الفنية للشعر الجاهلي : ص ٣٢٩.

(٢) أبو سويلم، أنور عليان: الإبل في الشعر الجاهلي دراسة في ضوء علم الميثولوجيا والنقد الحديث، دار العلوم، ط١، ١٩٨٣، ص ١٣٠.

(٣) رومية، وهب: الرحلة في القصيدة الجاهلية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩، ص٦٣.

الناقة قد أخذت حظ الأسد من الاهتمام والوصف، اكثر من الحصان الذي اهتم به العربي بكونه وسيلة للسرعة والحرب، وهو رمز الأبوة، أما الناقة فهي رمز للأمومة.

يقول مصطفى ناصف: " أخذت الناقة مفهوماً لم يستطع الفرس أن يأخذه، فإذا كان في الفرس أبوة وما يرتبط بالأبوة أو الرجولة من عنف وزحام، فقد كانت هذه الناقة أشبه الأشياء بالأمومة القوية، ولذلك اقترنت بالنخلة في أذهان العرب وأمومة الناقة أمومة صابرة قادرة على استمرار الحياة"[1].

لقد وقف معظم الشعراء أمام الناقة وكأنها معبودتهم، فهي رمز حياتهم، لهذا فهم يشبهونها بالفرس تارة لسرعتها ومضائها، وهي تشبه الحمار الوحشي بقوته ودفاعه عن قطيعه، وتشبه الظليم أو النعامة لحبه لأسرته وعشه.

يقول مصطفى ناصف: "الناقة كالفرس تسابق الزمن مسابقة غريبة، وتستحيل بهذه الصفة غير الزمنية، إن صح هذا التعبير إلى ظليم أو نعامة"[2].

ومن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى قد خص الناقة بسمات جسمية مختلفة عن أي حيوان آخر، فهي قادرة على الحياة في أصعب الظروف، تأكل النباتات الشوكية وتحتفظ بكميات كبيرة من الماء في جسمها لحين حاجتها إليه، بالإضافة إلى سنامها وأخفافها التي هي آية من آيات الله العجيبة وهذه إشارة إلى قوله تعالى: (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)[3] فالناقة عند البدوي رمز للصبر، والثبات، والقدرة على تحمل الصعاب. ولأنَّ الناقة تمثل عنصراً رئيساً في حياة الجاهلي، فهو دائم الذكر لها، لا ينساها في أي لحظة من لحظات حياته، فهي أنيسته وهي كاتمة أسراره ورفيقة دربه، بل هي أكثر من ذلك يبثها شكواه وأحزانه وآماله، وكأنها تناجيه فيناجيها، لهذا نجد العلاقة بين الشاعر والراحلة قوية متداخلة، لا يمكن فصلها فهي القريبة وهي الصديقة.

وإذا أراد الشاعر أن يتخلص من حالة إلى حالة، أو من موقف لآخر تخلص بطريقة مألوفة لديهم قلما شذ عنها. فإذا كان الشاعر واقفاً على الأطلال قال: لما رأيت أن الأطلال لا تجيبني نهضت إلى ناقتي، وإن كان يتحدث عن رحيل صاحبته قال: هل تلحقني

---

(١)ناصف، مصطفى: قراءة ثانية لشعرنا القديم، دار الأندلس، بيروت، ط٢، ١٩٨١،ص٩٩.

(٢) المرجع السابق: ص ٩٨.

(٣) القرآن الكريم : سورة الغاشية، الآية: ١٧.

بهم شدنية؟. وإذا كان يذكر صدود حبيبته وإعراضها عنه قال: فصرّم حبلها إذ صرّمته بالسفر على ناقة شديدة، وإن ذَكَرَ ما كان بينه وبين الحبيبة من ود قال: فدعها وسلِّ الهمّ عنك بناقة....وعلاقة الناقة بالظليم علاقة وثيقة وقوية، لأن الظليم عند العربي يمثل الحياة الهادئة الوادعة، فهو يرغب بالعودة إلى عشه قبل مغيب الشمس. يقول أنور عليان في كتابه الإبل في الشعر الجاهلي: "إن الشاعر يبحث عن حياة آمنة مستقرة، أو عن عش هادئ، بعيدعن الحروب وحياة الضنك والهجرات التي لا تنتهي، معبراً عن ذلك بهذه الحكاية القصيرة، وحكاية الظليم والنعامة"(١).

وهكذا نجد أن الشاعر يلجأ إلى الناقة بكونها معادلاً موضوعياً له، فيعبّرُ عن نفسه من خلال ناقته القادرة على إيصاله إلى بر الأمان، فهو يشبّه ناقته بالحيوانات الصحراوية القوية، القادرة على الحياة، والتخلص من المآزق التي تواجهها؛ لأنها هي التي تخرج الشاعر من دائرة أزمته التي يعانيها في عرض الصحراء. وهكذا نستطيع القول بأن الناقة عند العربي الجاهلي تعدُّ محوراً رئيساً في حياته، ورفيقة له في مماته؛ لتنقله إلى حياة جديدة بكونها سفينة العبور من حياة زائلة إلى حياة أخرى مختلفة. لقد بحث الجاهلي عن حياة الاستقرار، والثبات ليخرج من دائرة التنقل والترحال وعدم الاستقرار التي تمثلت في البحر والسفينة وفي ثنائية الثبات والتحول التي رآها عبد القادر الرباعي بقوله: " الإنتقال من وضع إلى وضع آخر أفضل، ثم إن الدور الذي تقوم به، هو نفسه الدور الذي يقوم به الشاعر (الفرد) الذي يطلب تغييراً اجتماعياً جذرياً، بعد أن تصل الحال بعشيرته إلى الثبات والركود، فالناقة في هذه الوظيفة التغييرية تتوحد مع الشاعر وتسير وإياه لإنجاز هدف سام"(٢).

---

(١)أبو سويلم، أنور عليان: الإبل في الشعر الجاهلي دراسة في ضوء علم الميثولوجيا والنقد الحديث: ص ١٩٠.

(٢) الرباعي، عبد القادر: الصورة الفنية في شعر زهير أبي سلمى، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض – السعودية، ط١، ١٩٨٤، ص ١٢٧.

ثالثاً: ثنائية الناقة والصحراء في شعر الأعشى الكبير.

لقد وقف الشعراء الجاهليون أمام مشاهد الطبيعة الفاتنة، يصورون ما يشاهدونه من مناظر مثيرة، ومشاهد بديعة هنا وهناك، يصورون ما يطوون من أرض وفياف لا حدود لها في ذاك التيه الرملي الواسع.

تناول الشعراء الصحراء بالوصف الدقيق لكل مشهد من مشاهدها، ولعل الطريق الممتد، والزمن، والسراب، وعزيف الجن، وحيوان الصحراء، وطيرها، ومياهها، والريح، والجبال، هي جلُّ ما وقف عليه الشعراء، وأهم ما وصفوه من عالم الصحراء في أثناء رحلاتهم الضاربة في أعماق الصحراء. والأعشى الكبير واحد من هؤلاء الشعراء الذين ترحلوا في عرض الصحراء، باحثاً عن مكاسب مالية هنا وهناك، وتؤكد جلّ المصادر، أنه شاعر تكسبي من الطراز الأول، لهذا فهو يقدم لنا في شعره صوراً من الصحراء ناطقة بالرعب والحذر، والترقب فتبلغ القلوب منا الحناجر فهو يقول:

وَيَهْمَاءَ قَفْرٍ تَحْرَجُ العَيْنُ وَسْطَهَا ... وَتَلْقَى بِهَا بَيْضَ النَّعَامِ تَرَائِكَا

يَقُولُ بِهَا ذو قُوَّةِ القَومِ إِذْ دَنَا ... لِصَاحِبِهِ إِذْ خَافَ مِنْهَا المَهَالِكَا

لكَ الويلُ أَفْشِ الطَّرْفَ بالعَيْنِ حَوْلَنَا ... عَلَى حَذَرٍ وَأَبْقِ مَا فِي سِقَائِكَا[1]

إنها الصحراء المقفرة المخيفة، يحار بها المسافر، وتدهش عيناه من شدة الخوف، وهو يحرص كل الحرص على شربة الماء في السقاء.

إن ثنائية الناقة والصحراء متلازمتان، ولا نكاد نجد قصيدة إلا وهذه الثنائية (الناقة والصحراء) مرتبطتان معاً، وكلما وصف الشاعر صعوبة وقساوة الصحراء، عاد إلى الناقة فوصفها بصفات القوة والنشاط، والحيوية، وكأن هناك تحدّ بينهما. يقول الأعشى:

وبَيْدَاءَ قفرٍ كبُردِ السَّدِيرْ ... مَشَارِبُهَا داثراتٌ أُجُنْ

قَطَعْتُ إذا خَبّ رَيْعانُهَا ... بَدوسَرةٍ جَسْرَة كَالفَدَنْ

وَطَالَ السَّنَامُ على جَبْلَةٍ ... كَخَلْقَاءَ مِنْ هَضَبَاتِ الدَّجَنْ[2]

---

(١) ديوان الأعشى الكبير: ق ١١، ص ١٣٩.

(٢) المصدر السابق: ق٢، ص ٦٧–٦٩. أُجُنْ: جمع آجن وهو الماء المتغيّر اللون والطعم لركوده. الدوسرة: الناقة الضخمة. جسرة: ضخمة. الفدن: القصر.

تبدو الثنائية واضحة في وصف الصحراء الخالية من المعالم الحيوية، والمياه فيها داثرة، في أعماق الأرض، مطموسة الآبار لا تصلح للشرب، ولكنها الناقة الدَوسرة الجريئة القوية، القادرة على قطع الصحراء الخالية، فصفات الناقة القوية تؤهلها لقطع هذه البيداء القاسية. وهذه ناقة الأعشى تشبه الفحل القوي لقطع هذا التيه الرملي، فهو يقول:

وَيهْمَـــــاءَ تعـــــزِفُ جنّانُهَـــــا ... مَنَاهِلُهَـــــا آجنـــــاتٌ سُـــــدُمْ

قطعـــــتُ بِرَسَّـــــامةٍ جَـــــسْـــرَةٍ ... عُـــــذَافِرَةٍ كـــــالفَنيقِ القَطِـــــمْ

غَـــضُوبٍ مِـــن الـــسَّوطِ زَيَّافَـــــة ... إذا مـــا ارتَـــدَى بالـــسَّرَابِ الأكَـــمْ

كَتُـــــومِ الرُّغَـــــاءِ إذا هَجّـــــرَتْ ... وَكانَـــــتْ بقيَّـــــةَ ذَوْدٍ كُتُـــــمْ[1]

وتمثل الناقة جسر العبور إلى مستقبل واعد مشرق عند الجاهلي، وهي القادرة على إنهاء المعاناة للشاعر، فكلما داهمته محنة، أو ألمت به واقعة، انصرف إلى ناقته لتشحذ عزيمته، وتجدد همته لينتصر على كل الآلام والهموم التي يعانيها في هذه الصحراء القاحلة. والناقة تماثل السيارة الفارهة في العصر الحديث، يقول طه حسين: "فأنت تراه - الشاعر الجاهلي - قد وصل إلى ناقته... وانتهى إليها كما تنتهي أنت إلى سيارتك في مدينتك هذه المتحضرة، حين يضيق بك الأمر، وتزدحم على نفسك الهموم وتكره المقام حيث أنت... وتلتمس فيها فرجاً من كرب وسعادة من ضيق"[2].

إن لوحة الرحلة مليئة بالتشبيهات، والاستعارات المناسبة لطبيعة الصحراء وصفات الناقة، فهاجس الترحال الدائم الذي يسكن نفس الشاعر، ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالناقة بكونها سفينة الصحراء بلا منازع، جعل الحدود بين الشاعر والناقة تتقلص لتتماهى مشاعره بمشاعرها، حيث لا ينفصل أحدهما عن الآخر، ولعل الشاعرالذي يخلع على ناقته صفات إنسانية، كالوداعة، وحب في قطع المسافات البعيدة، إنما كان يخلع هذه الصفات على ناقته؛ ليعبر عن مشاعره ورغباته الشخصية لقطع تلك المفاوز البعيدة؛ لأن الناقة تلازمه في حله، وترحاله، وكذلك فإنها تعاني ما يعانيه وسط الصحراء الواسعة.

---

(١)-المصدر السابق: ق٤، ص٨٧.

(٢) حسين، طه: حديث الأربعاء، دار المعارف بمصر، ١٩٨٢، ط١، ص ٣٤.

يقول أنور أبو سويلم: "إن هذه التشبيهات ليست تحلية أو زينة للمشبه، وليست توضيحاً أو تفسيراً ساذجاً، وإنما تمثل فكرة يود الشاعر طرحها"[1]. والشاعر عندما يشبه ناقته بالفحل من الإبل، إنما يريد أن يؤكد صفات الفحل الذي حظي بمكانة رفيعة، ومنزلة عالية عند صاحبه، فقد حظي بالإكرام والإطعام فهو (مقرَّم) لا يذل ولا يُحْمل عليه، بل هو يُعَدُّ للفحولة، فهو يعيش في رخاء، وهو كذلك يمتاز بالقوة والضخامة، وكذلك لابد للفحل أن يقوم بواجبه تجاه القطيع من الإبل، فهو المسئول عن القطيع، وهو الذي يمنع الغرباء من الاقتراب من القطيع، فهو يمثل السيد المطاع عند قومه، وكذلك نجد الإبل مطيعة لفحلها، لا تعصي له أمراً، وهذه صورة للمجتمع الإنساني، حيث يقدم الرجل النصح والإرشاد لأسرته، وهو الراعي لمصالحهم، وما على الجميع إلا الطاعة لهذا السيَّد.

لقد وصف الجاهليون الصحراء، والفيافي بالصفات الموحشة القاسية التي لا ترحم من عليها، وإذا وصف ناقته عاد فوصفها بصفات مثالية. يقول الأعشى:

يَهْمـاءَ موحـشةٍ رَفَعْـتُ لِعَرْضِـهَا ... طَرَفِـي لأقْـدِرَ بَيْنَهَـا أمْيَالَهَـا

بِجُلالَـةٍ سُـرُحٍ كـأنَّ بِغَرْزِهَـا ... هِـرّاً إذا انْتَعَـلَ المَطِـيُّ ظِلاَلَهـا

عَـسْفاً وإرقـالَ الهَجيـرِ تَـرَى لَهَـا ... خَـدَماً تُـسَاقِطُ بـالطَّرِيقِ نِعَالَهَـا[2]

إنها الصحراء المضلة الموحشة التي تغتال الفرسان، وتقضي على الأبطال، إلا أن الشاعر قد امتطى راحلته، لتقطع الصحراء بعسف وإرقال، غير مبالية بالصعاب التي تعترضها. إن ثنائية الناقة والصحراء من الموضوعات الرئيسة في ديوان الشاعر، فهو يصف الصحراء بصفات الرعب والخوف لطولها وعرضها الموحشين، ولكنه سرعان ما يستحضر ناقته ليصفها بالجسارة، والقوة ، والسرعة، وهي ذات سنام ضخم، وقد بريت من السير الطويل وفي ذلك يقول الأعشى:

وَخَـرْقٍ مَخُـوفٍ قَـدْ قَطَعْـتُ بِجَـسْرَةٍ ... إذا الجِـبْسُ أعْيَـى أن يَـرُومَ المَـسَالِكَا

بأدْمَـاءَ حُرْجُـوجٍ بَرَيْـتُ سَـنَامَهَا ... بـسَيْرى عَلَيْهَـا بَعْـدَ مـا كَـانَ تَامكَـا

(١) أبو سويلم، أنور عليان: الإبل في الشعر الجاهلي: ص ٢٠٧.

(٢) ديوان الأعشى الكبير: ق٣، ص٧٧.

لَهَـــا فَخِـــذَانِ تَحْفِـــزَانِ مَحَالَـــةً وَصُـــلْباً كَبُنيـــانِ الـــصَّفا مُتَلاَحِكَـــا

ورأســاً دَقِيـقِ الخَطْـمِ صُـلْباً مُـذَكَّراً ودأيَـــاً كأعْنَـــاقِ الـــظِّبَاعِ وحَارِكَـــا[1]

لقد قطع الشاعر الصحراء فوق ناقة ضامر برى السيرُ سنامها، بعدما كان مكتنزاً بالشحم، وهي ذات فخذين قويتين، تحملان ظهراً متماسكاً كأنه البنيان المرصوص، وهي ذات رأس دقيق، دليل العتق والنجابة. لقد وظف الشاعر ناقته في كثير من الأحيان لتحمل انفعالاته النفسية والحسية، فهو المُجْهَدُ، وهو المُتْعَبُ وسط هذه الصحراء القاحلة، وهو الذي يلاقي الآلام والمخاوف في سفره ورحلاته، فهو يُسْقِطُ هذه المعاني على ناقته، لأنها هي الوسيلة الوحيدة القادرة على إيصاله إلى مقصده، وتبلغه إلى مواطن آلامه وآماله، وهي القادرة أيضاً على تخفيف همومه وأحزانه. "لقد ارتبطت الناقة في وجدان العربي القديم بتخيله رحلته في الممات، وإنَّ ربط ناقته بجانب قبره، سيحقق له وسيلة فوزه في الآخرة، كما كانت هي ذاتها وسيلة نجاح في رحلته في الدنيا"[2].

إنها الناقة التي بليت من المشي في الصحراء، وأوشكت على الهلاك، فهي سفينة عبور الشاعر إلى جهة أخرى، يجد معها أمنه وراحته وحياته الجديدة، أو هي بمثابة انتقال الإنسان من حياته الدنيوية إلى الحياة الأبدية. يقول مصطفى عبد الشافي: "وبذلك تكون هذه الناقة كأنها سفينة العبور من حياة زائلة إلى حياة ثانية جديدة"[3].

---

(١) المصدر السابق:ق١١، ص ١٣٩. خرق: صحراء واسعة ينخرق فيها الريح.جسرة: ناقة ضخمة. الجبس: الجبان. أدماء: ناقة بيضاء. حرجوج: طويلة. تامك: مكتنز. المحالة: الدولاب أو البكرة العظيمة، وكذلك الفقرة من فقر البعير لشبهها بها. تحفزان: تدفعان. الصَّفا: الحجر. متلاحك: متماسك. الخطم: موضع الخطام فوق الانف. الدأي: فقر الكاهل أو الظهر. الضبع: العضد.

(٢)الرباعي، عبد القادر: الصورة الفنية في شعر زهير بن أبي سلمى، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض– السعودية، ط١، ١٩٨٤،ص ١٢٦ – ١٢٧.

(٣)الشوري، مصطفى عبد الشافي: الشعر الجاهلي تفسير أسطوري، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ط١، ١٩٩٦، ص١١٠.

لقد خلع الشاعر على الصحراء كل الصفات التي توحي بالخوف، والرهبة، ولكنه سرعان ما يعود إلى راحلته ليجد فيها الأمل، والقوة لتحمله إلى مبتغاه، وتنقذه من الموت المحقق، فالناقة سريعة، جريئة، تتحمل المشاق والصعاب... وفي ذلك يقول:

وَبَلْـــدةٍ يَرْهَـــبُ الجـــوّابُ دُلجَتَهـــا ... حَتَّـــى تَـــراهُ عليهـــا يبتغـــي الـــشّيَعَا

لا يَـــسْمعُ المـــرءُ فيهـــا مـــا يؤنّـــسُهُ ... بالليـــل إلا نَئِـــيمَ البُـــوم والـــضُّوعا

كلّفـت مجهُولَهَـا نَفْـسي وشَـايَعَني ... همّـــي عَلَيْهـــا إذا مـــا ألْهَـــا لَمَعـــا

بـــذاتِ لَـــوْث عَفَرْنـــاةٍ إذا عَثَـــرتْ ... فـالتَّعْسُ أدْنَـى لهـا مـن أن أقـول لَعَـا

كأنهـا بعـد مـا أفْـضَى النِّجـادُ بهـا ... بالـــشّيطَيْنِ مَهَـــاةٌ تَبْتَغِـــي ذَرَعَـــا[1]

إن السفر منفرداً شيء صعب، وقاس، وبخاصة في الصحراء، التي لا تكاد تسمع فيها إلا أصوات طيور الليل المخيفة كالبوم والضُّوعا، فهو معتاد على السفر ليلاً وسط هذه الصحراء القاحلة. لذا وجب تغذية الناقة، لتكون قادرة على قطع الصحارى بنجاح فقال:

وبَيْـــدَاءَ تِيـــهٍ يَلْعَـــبُ الآلُ فَوَقَهَـــا ... إذا مـــا جَـــرَى كـــالرازقيّ المُعَـــضَّدِ

قَطَعْـــتُ بِـــصَهْبَاءِ الـــسَّراةِ شِـــمِلَّةٍ ... مَـرُوحِ الـسُّرى والغِـبِّ مِـنْ كُـلِّ مَـسْأَدِ

بَنَاهـا الـسَّواديُّ الرَّضِـيخُ مـن الخَلَـى ... وَسَـــقْيِ وإطْعَـــامِي الـــشّعيرَ بِمِحْفَـــدِ

... فأضْـحَتْ كَبُنيـانِ التَّهَـاميّ شَـادَهُ ... بِطِـــينٍ وجَيَّـــارٍ وكِلْـــسٍ وقَرْمَـــدِ

شَـــدَدْتُ عَلَيْهَـــا كُورَهَـــا فَتَـــشَّددَتْ ... تَجُـورُ عَلَـى ظَهْـرِ الطَّرِيـقِ وَتَهْتَـدِي[2]

---

(١) ديـوان الأعـشى:ق١٣، ص١٥٤. الـشيعا: جمـع شـيعة، وشـيعة الرجـل الـذي يـشايعه أي يعينـه ويشجعه.الضوعا: طائر الليل الأسود. والذرع: ولد البقرة

(٢)المصدر السابق: ق٢٨، ص٢٣٩. الآل: السراب. الرازقي: ثوب أبيض من الكتان. المعضد: ثوب مخطط في موضع العضد. الصهبه: حمرة مشربة بالسواد. سراة كل شيء: خياره. شمله ومروح: بمعنى نشيطة. الغبّ: عَقِبَه وما يليه. الأساد: سير الليل كله. السوادي: النوى. الخلى: الحشيش. الكلس: الحجارة. القرمد: الآجر(وهو معرب). تجور: تنحرف.

إنها الناقة التي اعتنى بها صاحبها، حتى غدت مؤهلة لقطع الصحارى الواسعة، وقد غذاها بالسوادي - الشعير - ويسقيها بمحفدة وهي كالقصر أو كبنيان التهامي الشامخ قوة ومتانة. يقول مصطفى ناصف: ((يتخيل الشاعر الناقة تخيلاً خاصًا أقرب إلى البحث عن نصرة المجتمع، فالشاعر ما يزال "يتقوى" بهذا التخيل الذي يجعل الناقة ملاذ قوة غريبة، ويمكن أن نلاحظ أن لناقة شبهت بالقصر الذي أُحكم بناؤه، فالشاعر لذلك يحب فكرة العمل والدعم أو البناء[1]))

رابعا: لوحة الناقة والممدوح في شعر الأعشى الكبير.

كان الشعر العربي القديم شعراً غنائياً تكسُّبياً من الطراز الأول، وهذا يتطلب الترحال والتنقل من موقع إلى آخر، للوصول إلى الممدوح الذي سيغدق العطاء الجزيل على الشاعر.وفي ذلك يقول الأعشى:

إِلَيْكَ ابْنَ جفْنَةَ مِن شُقَّةٍ ... دأبْتُ السُّرَى وحَسَرْتُ القَلُوصَا

تَشَكَّى إليَّ فَلَمْ أُشْكِهَا ... مَنَاسِمَ تَدْمى وخُفًّاً رَهِيصَا[2]

لقد أجهد الشاعر ناقته حتى وصلت إلى ممدوحه، وهو يمثل لسان ناقته وحالتها النفسية، فهي تنظر إليه باستعطاف وأمل، وتشكو إليه بُعد الشُّقة، إلا أنه لا يشكّيها حيث الخير وجزيل العطاء عند الممدوح. إنها الإبل التي تقل راكبها لتقطعه الصحارى، والقفار البعيدة، قاصداً من يكافئه على رحلته الشاقة بالعطاء، وفي ذلك يقول الأعشى:

بَسِيْرٍ مَنْ يَقْطَعُ المَفَاوزَ والّـ ... ـبُعْدَ إلى مَنْ يُثِيبُهُ الإبِلاَ

والهَيْكَلَ النَّهْدَ والْوَلِيدَةَ والـ ... ـعَبْدَ ويُعطِى مَطَافِلاً عُطُلا

يا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ الْمَطِيَّ وَلاَ ... يَشْرَبُ كأساً بِكَفِّ مَنْ بَخِلا

قَلَّدتُكَ الشِّعْرَ يا سَلاَمَةَ ذا الـ ... ـتَّفضَالِ والشَّيءُ حَيْثُمَا جُعِلا[3]

---

(١) ناصف مصطفى: قراءة ثانية لشعرنا القديم، ص٩٨.، ق٣١، ص٢٥٧..

(٢) حسين، محمد: ديوان الأعشى الكبير، ق٣١،ص٢٥٧. خف رهيص: أصابة الحجر. والرواهص: الحجارة المتراصة.

(٢) المرجع السابق: ق٣٥،ص٢٨٥.

إن الممدوح لكريم معطاء، يعطي مادحه الخير الجزيل من خيل، وإبل، وجوار، وعبيد على هذه الرحلة الشاقة التي غيرت وجوه الإبل وأخفافها، والممدوح خيِّر جواد فهو لا يشرب من كف بخيل، بل يشرب بكفه هو، فهو أهل للمدح والثناء.وهاهوالشاعر يقول:

... أَكْلَلْتُهَـــا بَعْـــدَ المِـــرَا ح فَـــآل مِـــنْ أَصْـــلاَبِهَا

فَـــشَكَتْ إلـــيَّ كَلاَلَهَـــا والجَهْـــدَ مِـــنْ أَتْعَابِهَـــا

وكأَنَّهَـــا مَحْمُـــومُ خَيْـــ بَـــرَ بَـــلَّ مِـــنْ أوصَـــابِها[1]

إن الناقة لتشكو سوء حالها من الكلال والضرّ والإعياء، ليرحمها ويريحها بعض الوقت، ولكنه لا يلتفت إليها، فهي كالمحموم الذي أفاق من البلاء.لقد تمثل بعض الشعراء العرب الناقة وكأنها تحدثه عن حالها وصعوبة حياتها، فإذا هو يشعرنا فنحس فيه وكأن هناك علاقة قرب بين الناقة والشاعر، وبخاصة عندما يبث شكواه وهمومه من خلالها، فهي الصديقة في سفره، ونشعر أن شاعرنا الأعشى تربطه علاقة نفسية بناقته، فهو الذي يحس بها وكأنها تناجيه فيفهم مناجاتها.

ولأن الناقة تشكل معادلاموضوعيا للشاعر ، فإننا نحس بالتواصل الرمزي والتعبيري، فكل منهما يفهم لغة الآخر، فهو يخلع ما يحسه ويشعر به من عواطف على هذه الناقة، وكأنها تصدر عن نفسه، والشاعر يمنح ناقته عناصر إنسانية ليدخل إلى طبيعتها وتكوينها، وهكذا يختلط الحديث عنها بالحديث عن النفس، فيشكلان معاً كياناً واحداً كل يعبر عن نفسية الآخر يقول الأعشى:

وَخَـرْقٍ مَخُـوفٍ قَـدْ قَطَعْـتُ بِجَـسْرَةٍ إذَا خَـــبَّ آلٌ فَوْقَـــهُ يَتَرَقْـــرَقُ

هِـي الـصَّاحبُ الأُدنَـى وبيْنِـي وَبَيْنَهَـا مَجُـوفٌ عِلاَفِـيٌّ وقِطْـعٌ ونُمْـرُقُ

وتُـصْبِحُ مِـنْ غِـبِّ الـسُّرى وكأَنَّمَـا أَلـمَّ بِهـا مِـنْ طَـائِفِ الجِـنِّ أَوْلَـقُ[2]

(١) المصدر السابق: ق ٣٩. ص ٣٠٧. أكللتها: أتعبتها. المراح: النشاط. آل: نقص. بل من مرضه: أفاق.

(٢) المصدر السابق: ق٣٣، ص ٢٦٩ – ٢٧١.المجوف:الجوف، الضخمة .العِلافي :الرحل العظيم. أولق: به ألق أي مَسَّ من جنون.

لقد قطع الشاعر الصحراء الواسعة بناقة ضخمة الجسم في بيئة صحراوية، وعلى ظهرها رحل عظيم يتلاءم مع عظم جسمها، وهي تسير تحت أشعة الشمس اللاهبة كأن بها مساً من الجن لفرط نشاطها.إن الناقة في الشعر الجاهلي لا تُرَى بمعزل عن الصحراء باتساعها ورمالها المحرقة، لهذا فإن للطبيعة دوراً في تشكيل صورتها في الصحراء من قوة وسرعة، وقدرة على السير على الرغم من كل الظروف السيئة التي تحيط بها. يقول محمد عبدالمعيد خان: "فالطبيعة هي مركز النشاط لتصوير البدوي، والمسرح الذي تهيج فيه عواطف العربي"[1].لقد صور الشاعر الصحراء بصفات القسوة والشدة وشبهها بظهر الترس، أي إنها جرداء خالية من مظاهر الحياة، والذي سيخلصه من هذه الصحراء هي هذه الناقة الصلبة القوية وفي ذلك يقول:

وَفَـــلاَةٍ كأَنَّهَـــا ظَهْـــرُ تُـــرْسٍ ... قَـــدْ تَجَاوَزْتُهَـــا بِحَـــرْفٍ نَعُـــوبِ
عِـــرْمِسٍ بَـــازِلٍ تَخَيَّـــلُ بـــالرِّدْ ... فِ عَسُوفٍ مِثْلِ الهَيْجَانِ السَّيُّوبِ
تَـــضْبِطُ المَوْكِـــبَ الرَّفِيـــعَ بأَيْـــدٍ ... وَسَـــنَامٍ مُـــصَعَّدٍ مَكْثُـــوبِ[2]

وها هي ناقة الشاعر الصلبة الضامرة، تمدُّ عنقها في انطلاقها وهي تختال بالراكبين في المواكب، كأنها الفحل الأبيض الكريم. وفي ذلك يقول:

وَعَـــسيرٍ مِـــنَ النَّـــوَاعِجِ أدْمـــا ... ءَ مَـــرُوحٍ بَعْـــدَ الْكَـــلاَلِ رَجُـــوفِ
...ولَقَـــدْ أُحْـــزِمُ اللُّبَانَـــةَ أَهْلِـــي ... وأُعَـــدِّيهمُ لأمْـــرٍ قَـــذِيفِ
بِـــشُجَاعِ الجَنَـــانِ يَحْتَفِـــرُ الظَّلْـــ ... ـــمَاءَ مَـــاضٍ عَلَـــى الْـــبلاَدِ خَـــشُوفِ
مُـــسْتَقِلٍّ بـــالرِّدْفِ مـــا يَجْعَـــلُ الجِـــ ... رَّةَ بَعْـــدَ الإدْلاَجِ غَيْـــرَ الـــصَّرِيفِ
ثُـــمَّ يُـــضْحِي مِـــن فَـــوْرِهِ ذا هِبَـــابٍ ... يَـــسْتَطِيرُ الحَـــصَى بِخُـــفٍّ كثِيـــفِ[3]

(١) خان، محمدعبدالمعيد: الأساطير والخرافات عند العرب، دارالحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ط٢، ١٩٨٠، ص٥٤.
(٢) حسين، محمد: ديوان الأعشى الكبير: ق٦٨، ص ٣٨٣.
(٣) المـــصدر الـــسابق: ق٦٣،ص٢٦٥–٢٦٧. الخـــشوف:المـــشي لـــيلا.الـــصريف: صـــليل الانيـــاب. كثيف:صلب.الجنان: القلب .

إنها راحلة الأعشى التي تمتاز بالسرعة والقوة، فهي موفورة النشاط بعد الكلال، تجتاز الأماكن المخيفة، وسرعان ما يشير إلى أن راحلته جمل شجاع الجنان، قوي، يخترق الظلام قاطعا حُجُبَ الليل الدامس غير هياب، حاملاً الرديف دون مبالاة لفرط نشاطه.

لقد تعدت العلاقة بين الشاعر وناقته الحدود الطبيعية المألوفة ، إذ أخرجها الشاعر من صورتها العادية إلى صورة جديدة، كشف من خلالها رؤياه للحياة والكون، فأقام بينهما علاقة حميمية قوية، تقوم على التلاحم، والألفة، والمحبة الحقيقية.

خامساً: قدسية الناقة بكونها مخلّصة من الهموم.

كان الجاهلي يحلف بالناقةلأهميتها ومكانتها ، فهي سفينة صحرائه، وهي رمزحياته، في تلك الصحراء.... فهذا الأعشى يحلف بالراقصات وهي النوق فيقول:

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ إِلَى مِنىً ... إذا مَخْرَمٌ جاوَزْنَهُ بَعْدَ مَخْرَمِ

ضَوَامِرَ خُوصاً قَدْ أَضَرَّ بِهَا السُّرى ... وَطابَقْنَ مَشْياً في السَّرِيحِ المُخَدَّمِ[1]

فهو يقسم برب الإبل التي تهوي إلى نجد، مجتازة جبالاً بعد جبال على الرغم من ضمورها، وغور عيونها التي أضرّ بها السفر، ونال منها الكلال، ولا يقسم العربي بشيء إلا أن يكون المقسم به مهماً.وكان العربي يقسم بالإبل بكونها عنصراً رئيساً في حياته، لأن الناقة تحتل مكانة رفيعة عنده، فهي وسيلة أمنه وأمانه، ورفيقته في الحل والترحال وسط ذلك التيه الواسع في الجزيرة العربية. يقول أنور أبو سويلم: "والناقة لم تكن مجرد حيوان، فقد احتلت مكانة عظيمة عند العرب في العصر الجاهلي بلغت حداً من التقدير، وتجسد ذلك بمعتقدات وطقوس عدة، حتى أن الشعراء كانوا يقسمون بالناقة، والقسم دليل على قدسية المقسم به وهو كثير".[2]

لقد كان العصر الجاهلي عصراً قلقاً مضطرباً، لم يكن فيه الناس على علم في كل أمورهم، لهذا كثرت التساؤلات حول الحياة، والكون، والموت، فنجد الشاعر الجاهلي

---

(١) المصدر نفسه: ق ١٥، ص ١٧٣، المَخْرَم: الجبل . السريح: سيور الرحل .

(٢) أبو سويلم، أنور عليان: الابل في الشعر الجاهلي دراسة في ضوءعلم الميثولوجيا والنقدالحديث، ج١ ،ص٢٦٥.

يهتم بناقته اهتماماً لافتا، لأنها هي الوحيدة القادرة على إنقاذ حياته من التيه، والضياع في تلك الصحراء، وكان عليهم الاهتمام بهذا الحيوان الذي اختص بسمات جسمية تختلف عن غيره من الحيوانات الأخرى، حيث جعله الله قادراً على تحمل الجوع والعطش أياماً طويلة.

و الناقة هي سفينةالنجاة عند الجاهلي، نظر إليها أيضاً على أنها سفينة نجاته عند موته، فوُجد ما يسمى عندهم بالناقة (البلية).

وتحتل الناقة في عرف الجاهلي مكانة مقدسة، لأنها سفينة العبور نحو العالم الآخر، فإن العربي الجاهلي يأنس بناقته ويحب أن تكون معه حتى بعد وفاته، لتنقله إلى العالم الآخر براحة وهدوء، لهذا تحدث العرب عن الناقة (البلية) التي تعقل عند قبر صاحبها وتترك دون أكل أو شرب حتى تموت، فيركبها الميت عند استيقاظه ويرحل إلى حيث يريد، وفي ذلك يقول مصطفى عبد الشافي في الناقة البلية " وهذه الناقة أي البلية تعقل على قبر صاحبها إذا مات، فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت، فإذا نهض الميت من قبره وجدها قريبة منه امتطاها عابراً عليها إلى العالم الآخر"[1].

ولأن الجاهلي آمن بحقيقة الموت، وأدرك أن الموت يطارد الإنسان إينما كان، فقد ربط الجاهليون هذا الحقيقة بالناقة التي هي مصدر حياته، ووسيلة ترحاله وتنقله عبر الصحارى القاسية، فإذا هلكت ناقته فهو هالك لا محالة، لهذا ارتبطت صورة الناقة بالموت، وفي ذلك يقول حسين جمعه: " ولعل هذا ما قوى لدى العرب قديماً ارتباط صورةالإبل بالموت"[2].وإذا ما كثرت الهموم وتزاحمت المصائب على الشاعر، فإنه لايجد ملاذاً أو مأوىً يأوي إليه غير هذه الناقة التي عدّها المنجية، والمخلصة من كل ما يعترض سبيله، باعتبارهاالصديق الوفي الأول بالنسبة له. فهو يقول:

وَلَقَدْ أَقْطَعُ الخَلِيلَ إذا لَمْ ... أرجُ وَصْلاً إن الإخاءَ الصِّداقُ

بِكُمَيْتٍ عَرْفَاءَ ومُجْمَرَةِ الخَـ ... ـفِ غَذَتْها عَوَانَةٌ وفِتَاقُ

(١)الشوري، مصطفى عبد الشافي:الشعر الجاهلي تفسير أسطوري، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ط١، ١٩٩٦، ص٥٧.

(٢) جمعة، حسين: الحيوان في الشعر الجاهلي، دانيه للطباعة والنشر، دمشق– بيروت، ط١، ١٩٨٩، ص١٩٠–١٩١.

ذَاتِ غَــرْبٍ تَرْمِــي المُقــدَّمَ بَــالرِّدْ ... فِ إذا مَــــــا تَــــــدَافَعَ الأرْوَاقُ

فَعَلَــى مِثْلِهَــا أزُورُ بَنِــي قيــ ... ـسٍ إذا شَــطَّ بالحَبِيــبِ الفِــراقُ[1]

وقد يسلي الشاعر نفسه، ويحاول جهده الابتعاد عن الأحزان بهذه الناقة الجريئة، القوية التي تقطع السهول، والجبال بحيوية ونشاط فيقول:

وقــد أُسَــلِّي الهــمّ حــين اعْتَــرَى ... بِجَــــسْرَةٍ دوسَــــرة عَــــاقِرِ

زيّافَــــةٍ بالرَّحْــــلِ خطّــــارةٍ ... تُلْــوِي بِــشَرْخَيْ مَيْــسَةٍ قَــاتِرِ[2]

أنها ناقة عاقر لا تلد، فهي الأقدر على قطع الصحارى، ولفرط نشاطها فإنها تضرب بذنبها الرحل فتكاد تسقطه من على ظهرها، دليل نشاطها وعزمها. تعدّ الناقة الصديق الآمن التي يلجأ إليها الشاعر كلما أدلهمت عليه الخطوب، فإذا صدّت الحبيبة عن حبيبها فعليه ألاّ ييأس من ذلك، لأن البديل موجود، وهو التوجه إلى الناقة الجُلَذيَة التي تنسيه محبوبته يقول الشاعر:

فــإنْ كُنْــتَ مِــنْ وُدِّهــا يَائِــساً ... وأجْمَعْــتَ منهــا بِحَــجٍ قَلُوصَــا

فَقَــــرِّبْ لرَحْلِــــكَ جُلَذيَّــــةً ... هَبُــوبَ الــسُّرَى لا تمــلُّ النَّصِيــصَا

يُــشَبِّهُها صُــحْبَتي مَوْهنــاً ... إذا مــا اســتتبَّت أتانــا نحوصــا[3]

إن التعامل مع الناقة يجدد الحيوية والنشاط حتى لو وصل الإنسان إلى درجة اليأس ممن أحب، فعليه أن يجدد حيويته مع ناقته النشيطة التي لا تعرف الملل، أو اليأس، فهي

---

(١) حسين، محمد: ديوان الأعشى الكبير، ق٣٢، ص٢٦١– ٢٦٣.عوانة وفتاق: ماءان.

(٢) المصدر السابق: ق١٨، ص١٩٧. جسرةٌ: ناقة ضخمةٌ. دوسرةٌ: عاقر غير حامل. الميسة: شجرةٌ نعمل منها الرّحال.القاتر: الجيد من الرحال أو السرج الذي يقي الظهر ولا يعقره.

(٣) المصدر السابق: ق٣١، ص٢٥٧. جلديةٌ: ناقةٌ سريعة. نصيص: مصدر نصّ أي أستحثها ليستخرج ما عندها من نشاط. نحوس: لا ولد لها. أستتبت: أستقامة في السير.

تستجيب لصاحبها كلما استحثها على المسير والإسراع، وهي تشبه أتان حمار وحش مكتنزة لم تلد، وكذلك ناقته ما زالت صغيرة السن لم يضعفها ولد.

وإذا رأى الشاعر ما يشينه ويبغضه، فإنه يتوجه إلى ناقته فيقول:

ولقـــد أجْـــذِمُ حَبْلِـــي عامـــداً ... بعِفَرْنَـــــــاةٍ إذا الآل مَـــــــصَحْ

تَقْطَـــعُ الخَـــرْق إذا مـــا هَجَّـــرَتْ ... بهِبَـــــــــابٍ وإرَانٍ ومَـــــــــرَحْ

وتُـــوَلِّي الأرضَ خُفّـــاً مُجْمَـــراً ... فـــإذا مـــا صَـــادَفَ المَـــرْوَ رَضـــحْ

فَتَـــــرَاه قَلِقَـــــاً فَرَاسِـــــناً ... ذَا رنيـــنٍ صَحِـــلَ الـــصّوْتِ أبَـــحْ[1][21]

إنه يقطع الحِبال عندما لا يرضيه المقام، فيذهب إلى ناقته التي هي صديقته، ورفيقة دربه، يركبها ويقطع الصحاري المترامية غير مبالية بالحرّ، والهاجرة، وتتكسر الحجارة من تحت أخفافها العظيمة.والشاعر قادر على قطع حبل المودة والحب فيتوجه إلى الناقة قائلا:

قَـــدْ تَعْلَمِـــينَ يـــا قُتيلَـــةَ إذْ ... خَـــانَ حبيـــبٌ عَهْـــدَهُ وأدَلْ

أنْ قَـــدْ أجُـــدُّ الحَبْـــلَ مِنـــهُ إذا ... يـــا قَتْـــلُ مـــا حَبْـــلُ القَـــرِينِ شَـــكَلْ

بعنتـــريسٍ كالمَحَالَـــةِ لَـــمْ ... يُـــثْنَ عَلَيْهَـــا للـــضِّرَاب جَمَـــلْ[2]

إن الشاعر لقادر على قطع حبل المحبة، وإن له لمتحولاً فوق ناقة ضخمة، تجري في الصحراء بسرعة كجري البَكَرة الضخمة من حولها الحبل وهذا دليل على تفوق الناقة وقدرتها على تحمل الأسفار ،وقدرتها على انقاذ صاحبها من المآزق وصعوبات الحياة.

سادسا: لوحة الناقة وحمار الوحش والبقرة الوحشية في شعر الأعشى الكبير.

---

(١) المصدر السابق: ق٥٢، ص٣٢٧. أدل: تكبر وتاه. شَكَلْ: أشتبك. عنتريس: ناقة قوية ضخمة. المَحَالة: الدولاب والبكرة العظيمة التي يدول حولها الحبل. الضِّرار: نزو الفحل على الأنثى.

كثيراً ما شبه الأعشى ناقته بالحمار الوحشي القوي، وسط الصحراء الذي قطعها وقت اشتداد الحر، وقد خفق الآل وارتفع، والحمار الوحشي الذي يرعى اتنه ويسوقها فيقول:

وابـــيضَ كـــالنَّجْمِ آخيتُـــهُ ... وبيـــداءَ مُطَّـــرِدٍ آلُهـــا

قَطَعْـــتُ إذا خـــبَّ ريعانُهـــا ... ونُطِّـــق بـــالهول أغْفَالُهَـــا

بِنَاجِيـــةٍ مِـــنْ سَـــرَاةِ الهِجَـــا ... نِ تـــأتي الفِجَـــاجَ وتغتالُهـــا

تَرَاهَـــا كأحقَـــبَ ذي جُـــدَّتيـــْ ... نِ يَجْمَـــعُ عُونـــاً ويَجْتَالُهَـــا

...فَـــذَلِكَ شَـــبَّهتُهُ نَـــاقَتِي ... وَمَـــا إنْ لِغَيْـــرِكَ إعْمالُهَـــا[1]

إنها الناقة االقوية التي ساعدت الشاعر على قطع البيداء، فهي من سلالة معروفة لديه، فهي تشبه الحمار الوحشي في هذا الجانب.لقدوصف الأعشى ناقته بالجرأة، وهي القادرة على قطع المفاوز المهلكة التي يخافها الضعفاء من الناس ، وهو يرى من خلالها المناظر الطبيعية، والمشاهد البديعة، كمشهد الثور الوحشي، والحمار الوحشي، ومشاهد الظليم والنعامة، فهو يشبّه ناقته بها لأنها من الحيوانات الصحراوية القادرة على مقاومة الصعاب، والعقبات التي تواجهها، وهذه من المشاهد الرئيسة التي نجدها في الشعر العربي القديم، وبخاصة عند شاعرنا الأعشى.

واعتقد أن الشاعر عندما يعقد مقارنة بين الناقة والحمار الوحشي، أو الثور الوحشي، أو الظليم أو النعامة، ويصفها بالقوة والقدرة على التحدي، باعتبارها بديلاً للناقة، فإنه لا يريد أدخال ناقته في صراع مع الصحراء، أو مع الأعداء، بل يدخل هذه الحيوانات في حالة صراع مع أعدائها، وتستمر بالصراع إلى أن يتحقق الفوز، وهذا يعني أن الشاعر يحب ناقته، وهي أقرب الحيوانات إلى نفسه، وإدخال الناقة في مثل هذا الصراع قد

(١) المصدر السابق: ق٢١، ص٢١٣– ٢١٥. أبيض: رفيق أبيض صبيح كأنه النجم قد آخيته. خبّ: طال وارتفع. الريعان: السراب. نُطِّق: شدَّ وسطه بنطاق.

يضعفها، ويشكل ذلك تهديداً لها، وكل ما يهدد ناقته خطر عليه، لأن الناقة تمثل الشاعر.

وكثيراما شبه الشاعر ناقته بالحمار الوحشي ، الذي أكل البقل ورعى النبت، ثم أفزعته سحابة مظلمة غزيرة المطر، ليفاجأ في الصباح بمجموعة من الكلاب التي طاردته ولكن دون جدوى، ثم يعجب الشاعر بالحمار فيشبه ناقته به، لأنه قد خلَّص نفسه بجهده وقوته، وكذلك ناقة الشاعر ستخلصه من مأزقه وسط الصحراء، ليصل إلى بغيته فيقول:

ذاك شبَّهتُ ناقتي إذ تَرَامتْ ... بي عليها بعد البِرَاق البِرَاقُ

فَعَلَى مِثْلِها أزُورُ بَنِي قيـ ... ـسٍ إذا شَطَّ بالحَبيبِ الفِرَاقُ[1]

وكلما وصف الشاعر الصحراء بصفات القسوة والصعوبة انتقل إلى ناقته التي تعادلها، قوة، وجرأة، ثم ينتقل إلى الحمار الوحشي، وقد وسمه بالخشونة والقوة فيقول:

فَلاَ بأسَ قَدْ أجَوِّزُ حَاجَتي ... بمُسْتَحصِدٍ بَاقٍ من الرَّأي مُبْرَمِ

وكورٍ عِلاَفيٍّ وقِطْعٍ ونُمْرُقٍ ... وَوَجْنَاءَ مِرْقَالِ الهَوَاجِرِ عَيْهَمِ

عَرَنْدَسَةٍ لا يَنْقُضُ السَّيْرُ غَرْضَهَا ... كأحْقَبَ بِالوَفْراء جأبٍ مُكَدَّمِ[2]

لقد اتسمتْ الناقة بالضخامة، والقدرة على السير وقت الهاجرة، وهي كالحمار الوحشي قوة وجرأة. وللناقة أهميتها في مساعدة الشاعر، فبها يتغلب على هواجسه الداخلية، وبها يواجه حيوانات الصحراء، وهي القادرة على مواجهتها ،ولهذا فهي تعاني كل المعاناة لتنقذ راكبها من الخوف والضياع وسط هذا التيه.

ومن الملاحظ أن الشاعر يلجأ إلى الاستطراد في كثير من الأحيان، حيث يتحدث عن الناقة، ثم ينتقل الى وصف الحمار الوحشي، ثم يعود من جديد إلى ناقته التي أشبهت

---

(١) المصدر السابق: ق٣٢، ص ٢٦٣.البراق:الأرض الغليظة فيها حجارة، ورمل، وطين.شطَّ:بَعُدَ.

(٢) المصدر السابق : ق١٥،ص١٦٩.الاحقب:الحمار الوحشي.عرندسة:ناقة شديدة.

الحمار بالقوة، والجرأة، والسرعة،و الذي يمثل الأبوة والحنو.وها هو الأعشى يعود من جديد ليقول في ناقته التي تطوي البيد بحيوية كحيوية الحمار الوحشي فيقول:

أَجَـدُّوا فَلَمَّـا خِفْـتُ أن يَتَفرَّقُـوا فَـرِيقَيْنِ مِـنْهُمْ مُـصْعِدٌ ومُـصَوِّبُ

طلبُـتُهُم تُطَوِي بِـيَ البِيـدَ جَسْـرَةٌ شُـوَيْقِئَةُ النَّـابَيْنِ وَجْنَـاءُ ذِعلِـبُ

مُـضَبَّرَةٌ حَـرْفٌ كـأن قُتُودَهَـا تَـضَمَّنَها مـن حُمْـر بَيَّـانَ اَحْقَـبُ[1]

كونت الناقة في رحلتها مشاهد، وصور متعددة لحيوانات الصحراء التي تمثل رمزاً للقوة، والثبات، والسرعة.يقول محمد صادق حسن عبد الله: "ومن هنا كانت هذه المشاهد غنية، وخصبة في رموزها، ودلالاتها النفسية والموضوعية، فالشاعر أراد منها معناها الحسي، وهو تشبيه ناقته بهذا الحمار والثور الوحشي، والظليم، وقوته وسرعة حركته وتغلبه وتحمله لمشاق السير ومخاطر الطبيعة، كما أراد المعنى النفسي لتصوير حالة الإنسان، ومتاعبه في هذه الحياة، وجملة المخاطر التي تحيط به، كما أراد المعنى الرمزي لتصوير فلسفة الإنسان ونظرته إلى الكون"[2]

فَـذَلِكَ بَعْـدَ الجَهْـدِ شَـبَّهتُ نَـاقَتِي إذَا الـشَّاةُ يَوْمـاً فـي الكِنَـاس تَجَرْثَمَـا

تـؤمٌ إياسـاً إن ربِّـي أبَـى لـهُ يَـدَ الـدَّهْرِ إلا عِـزَّةً وتَكَرُّمَـاً[3]

إن الحديث عن الحمار الوحشي يشكل قصة تقليدية في الشعر العربي، فهي قصة الثور في كفاحة المرّ العنيف في تلك الصحراء، وهذا الثور المكافح الجسور أشْبه ما يكون بالناقة وقد أجهدتها الرحلة، فتجشمت الأهوال في عرض الصحراء للوصول إلى هدفها.

سابعا: لوحة الناقة والظليم والنعامة في شعر الأعشى الكبير.

كثيراً ما وصف الشاعر ناقته بالسرعة في السير، فيشبهها بذكر النعام الذي يطارد انثاه وفي ذلك يقول الاعشى:-

---

(١) المصدر السابق: ق٣٠، ص٢٥١.

(٢) عبد الله، محمد صادق حسن: خصوبة القصيدة الجاهلية معانيها المتجددة دراسة وتحليل ونقد، دار الفكر، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٣٦٢.

(٣) ديوان الأعشى الكبير: ق٥٥، ص٣٤٧.

وقــد أَقْــرِي الهُمُــومَ اذا اعْتَرَتْنِــي عُــذَا فِــرَةً مُــضَبّرَةً عُقامَــا

مُفَرَّجَــةً يَــئِطُّ النِّــسْعُ فِيهَــا أَطِــيطَ الــسَّمْهَرِيَّةِ أنْ تُقَامَــا

اذا مــا رُعْتَهَــا بــالزَّجْرِ أَجَّــتْ أَجِــيجَ مُــصَلَّمٍ يَزْفِــي نَعَامَــا

تَــشُقُّ اللَّيْــلَ والــسَّبَرَاتِ عَنْهَــا بــأَتْلَعَ سَــاطِعٍ يُــشْرِي الزِّمامــا[1][2]

يذكر الشاعر ناقته كلما أَلَمَّتْ به مصيبة أو نزل به هم، فإنه يلجأ إليها ليخفف معاناته من الألم والحزن. وناقته لا تطيق ضرب السوط، فهي تسرع كسرعة ذكر النعام الذي يباري انثاه خوفاً عليها، وحفاظاً على حياتها، فالسرعة والقوة هي أبرز سمات الناقة، وهو يصفها بالنعامة قائلا:

وإذَا اللّقَــاحُ تُرَوّحَــتْ بأَصِــيلَةٍ رَتَــكَ النَّعَــامِ عَــشِيَّةَ الــصُّرّادِ

جَرْيَــاً يَلُــوذُ رِبَاعُهَــا مِــنْ ضُــرّها بــالخَيْمِ بَــيْنَ طَــوَارِفٍ وهَــوَادي

حَجَــرُوا عَلَــى أَضْــيَافِهِمْ وَشَــوَوْا لَهُــمْ مِــنْ شَــطِّ مُنْقِيَــةٍ ومِــنْ أَكْبَــادِ[2]

إنها النياق الهجان التي تعود إلى بيوت أصحابها في الليالي الباردة مسرعة كسرعة النعام إلى عشه، حباً في الاستقرار، والحياة الكريمة. وها هو الأعشى يمثل ناقته بالحمار الوحشي تارة، وبالنعامة والظليم تارة أخرى، فيقول:

وشِــمِلَّةٍ حَــرْفٍ كــأن قُتُودَهَــا جِلْتُــهُ جَــوْنَ الــسَّرَاةِ خَفَيْــدَدَا

وكأنّهَــا ذو جُــدّةٍ غِــبّ الــسّرَى أَوْ قَــارِحٌ يَتْلُــو نَحَــائِصَ جُــدّدا

---

(١)المصدر السابق: ق٢٩، ص٢٤٥-٢٤٧.

(٢) المصدر السابق: ق١٦، ص١٨١ - ١٨٣. اللقاح: الإبل. الأصيل: وقت غروب الشمس. يوم صرد وعشية صرد: باردة. الرّباع: جمع ربع (بضم ثم فتح) وهو ولد الناقة في أول الإنتاج. الطوارف من الخباء: ما رفعت من جوانبه للنظر إلى الخارج. الهوادي: جمع هاد وهو العمود في مقدمة الخباء. حجر عليه: حبسه. الشط: جانب السنام أو نصفه. أنقت الأبل: سمنت فهي منقية.

أو صَـــعْلَةٌ بالْقَـــارَتَيْنِ تَرَوَّحَـــتْ رَبْـــدَاءَ تَتبَّـــعُ الظَّلِـــيمَ الأرْبَـــدَا

طَـــوْرًا تكُـــونُ أمامـــهُ فتَفُوتُـــه وَيفُوتُهَـــا طَـــوْراً إذا مـــا خـــوَّدا[1]

إنها ناقة الأعشى النشيطة كذكر النعام الأسود السريع في المشي، أو كالحمار الوحشي الذي اكتمل شبابه ونشاطه ويتبع أُتنه، وهو مثال للحذر على انثاه. ثم عاد إلى النعامة السريعة التي تركض لتلحق بذكرها عائدين إلى عشهما ليتمكنا من معرفته قبل حلول الظلام.

والله الموفق

* * *

(١) المصدر السابق: ق ٣٤، ص ٢٧٩. شملة: ناقة خفيفة. حرف: صلبة. الخفيدد: الظليم وهو ذكر النعام.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أبو سويلم، أنور عليان: الإبل في الشعر الجاهلي دراسة في ضوء علم الميثولوجيا والنقد الحديث، دار العلوم، ١٩٨٣.
- الأصبهاني،ابو الفرج: الأغاني، المجلد السابع، القسم الأول،منشورات دار الفكر–دارمكتبة الحياة– بيروت ،١٩٥٥.
- جمعة، حسين: الحيوان في الشعر الجاهلي، دانية للطباعة والنشر، دمشق / بيروت، ط ١٩٨٩،١.
- حسين، طه: حديث الأربعاء، دار المعارف بمصر، ط١، ١٩٨٢.
- حسين، محمد محمد: ديوان الأعشى الكبير(ميمون بن قيس)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر– بيروت،١٩٧٢.
- خان، محمد عبد المعيد: الأساطير والخرافات عند العرب، دار الحداثة للطباعة والنشروالتوزيع، بيروت– لبنان،ط،١٩٨٠،٢.
- ذو الرمة،غيلان بن عقبة العدوي: ديوان ذي الرمة،شرح الامام ابي نصر احمد بن حاتم الباهلي، رواية الإمام أبي العباس ثعلب، تحقيق عبد القدوس ابو صالح، مؤسسة الرسالة– بيروت،ط ٣ ،١٩٩٣.
- الرباعي،عبد القادر: الصورة الفنية في شعر زهير بن ابي سلمى، دار العلوم للطباعة والنشر – الرياض – السعودية،ط ١،١٩٨٤.
- رومية، وهب: الرحلة في القصيدة الجاهلية، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٩٧٩.
- الشلبي، سعيد اسماعيل: الاصول الفنية في الشعر الجاهلي،مكتبة غريب – القاهرة،١٩٧٧.
- الشوري،مصطفى عبد الشافي: الشعر الجاهلي تفسير اسطوري،الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان – مصر، ط١، ١٩٩٦.
- الصديقي، عبد اللطيف: الزمان ابعاده وبنيته، المؤسسة الجامعية – بيروت ط ١٩٩٥،١.
- ضيف، شوقي: العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر، ط٢٤، ٢٠٠٣.
- عبد الله، محمد صادق حسن: خصوبة القصيدة الجاهلية معانيها المتجددة دراسة وتحليل ونقد، دار الفكر – القاهرة، ١٩٨٥.

- عجينة، محمد: موسوعة اساطير العرب عند الجاهلية ودلالاتها، دار الفارابي - بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٤.
- ناصف، مصطفى: قراءة ثانية لشعرنا القديم،دار الاندلس- بيروت، ط٢، ١٩٨١.
- نوفل، سيد: شعر الطبيعة في الأدب العربي، مطبعة مصر- القاهرة، ١٩٤٥.

* * *